التفسير الإشاري للقرآن
مفهومه - أصوله - أقسامه - شروطه

د. فيصل محمود آدم
أستاذ التفسير بكلية القرآن الكريم بالجامعة

مجلة كلية القرآن الكريم
العدد السادس 1436هـ
2015م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الواحد الأحد الفرد الصمد ، نحمده تعالى ونشكره على ما له علينا من صنوف الإحسان التي لا يقدر على عدها أو حصرها إنس ولا جان.نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره من كل ذنب عملناه صغيرا أو كبيرا، عن خطأ أو عمد أو نسيان. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.ونشهد أنَّ سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا عبده ورسوله ومصطفاه سيد ولد آدم وأول من يقرع باب الجنان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين. وبعد ..

فإنَّ علمَ التفسير من أعلى العلومِ قدراً ، وأجلها شأنا ؛ لشدة تعلّقه بكتاب الله تبارك وتعالى، ولقد عرف العلماء لهذا العلم قدره، فاعتنوا به أتمّ عنايةٍ، واهتموا به أيَّما اهتمام، جمعوه ووثّقوه، ونافحوا عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فبيّنوا صحيحَه من سقيمِه، وما يُقبل منه فيُروى، وما يُرفض منه فيُرمى.وإن موضوع التفسير الإشاري - أو استخراج المثل والإشارة من القرآن ونصوص السنة -لمن المواضيع المهمة، حيث يرى البعض أنَّ التفسير لا يبلغ بناءه وكماله وتمام مصداقيته في تحقيق وفاء معاني التنزيل بتفسير حقائق الوجود بأسرها إلا بإعمال المنهج الصوفي الإشارى فى التفسير ، ويرى البعض غير ذلك حيث

اعتبر التفسير الإشاري من قبيل الوجدانيات التي لا تستند إلى برهان شرعي قاطع.
لذا رأى الباحث أن يدلو بدلوه ويساهم بفكره في تحرير قضاياه ومسائله إتماما للفائدة وتحقيقا المصلحة.
وحتى يسهل تناول الموضوع لدى القارئ فقد قسمته إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. وتحت كل فصل عدد من المباحث. حيث جاء الفصل الأول بعنوان : مفهوم التفسير الإشاري، واشتمل على ستة مباحث . أما الفصل الثاني فكان بعنوان : أصول التفسير الإشاري، واشتمل على خمسة مباحث . ثم جاء الفصل الثالث بعنوان : آراء العلماء في التفسير الإشاري وشروط قبوله، واشتمل على مبحثين . ثم ذيلته بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج .
أسأل الله العلى القدير أن يجعله صالحا ، ولوجهه خالصا وأن ينفع به طلاب العلم خاصة، والمسلمين عامة إنَّه ولي ذلك والقادر عليه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

الفصل الأول
مفهوم التفسير الإشاري

المبحث الأول: معنى التفسير في اللغة

جاء في المفردات: الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تَفْسِرَةٌ ، والتَّفْسِيرُ في المبالغة كالفسر ، والتَّفْسِيرُ قد يقال فيما يختصّ بمفردات الألفاظ وغريبها ، وفيما يختصّ بالتأويل، ولهذا يقال: تَفْسِيرُ الرّؤيا وتأويلها. [1]وفي لسان العرب: الفَسْرُ: الْبَيَانُ. فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، ويفْسُرُه، بِالضَّمِّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ. ؛والفَسْرُ: كَشْفُ المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عَنِ اللَّفْظِ المُشْكل، والتأْويل: رَدُّ أَحد الْمُحْتَمَلَيْنِ إِلَى مَا يُطَابِقُ الظَّاهِرَ. واسْتَفْسَرْتُه كَذَا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لِي. والفَسْر: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ، وَكَذَلِكَ التَّفْسِرةُ.[2]

المبحث الثاني: معنى التفسير في الاصطلاح

أما في الاصطلاح فقد تعددت عبارات العلماء واختلفت أقوالهم في تعريفه وتحديده، ما بين مطوّلٍ ومقصّرٍ ومفصّلٍ وموجزٍ . فقد عرَّفه أبو حيان فى البحر المحيط بأنَّه:علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك.[3]

ثم خرَّج التعريف فقال: "فقولنا: "علم"، هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: "يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن"، هذا هو علم القراءات، وقولنا: "ومدلولاتها" أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه فى هذا العلم، وقولنا: "وأحكامها الإفرادية والتركيبة"، هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: "ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب"، يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمل على الظاهر وهو المجاز، وقولنا: "وتتمات لذلك"، هو معرفة النَسْخ وسبب النزول، وقصة توضح

([1]) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، تحقيق صفوان عدنان الداودي ، ط1 دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، - 1412 هـ 636/1

([2]) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى ، ط 3 دار صادر – بيروت1414 هـ 55/5

([3]) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق صدقي محمد جميل ، ط دار الفكر – بيروت1420 هـ 26/1

بعض ما أنبهم فى القرآن، ونحو ذلك".[1]

وقال الزركشي : التَّفْسِيرُ علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من: علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.[2]وفي الإتقان : هو علم نزول الآيات وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها.[3]

وعرفه الشيخ ابن عاشور رحمه الله حيث قال: هو اسمٌ للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يُستفاد منها باختصارٍ أو توسّعٍ [4]. وعرفه بعضهم بأنه: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية.[5]

ولعلنا نلاحظ أنَّ التعريفين الأخيرين، تعريف ابن عاشور – وهو من المتأخرين –والتعريف الذي نقله الذهبي عن بعضهم ،أشمل وأوسع من تعريفات السابقين رحمهم الله ، لكونهما جامعان مانعان - في تقدير الباحث - يدخل فيهما آخر ما وصل إليه العلم الحديث من علوم ونظريات وتقنيات معاصرة حيث لا نجد في عبارات السابقين ما يسمح بدخول ما يصل إليه العلم الحديثُ من حقائق .لكن عبارة (باختصار أو توسع) في تعريف ابن عاشور، وعبارة (بقدر الطاقة البشرية) في التعريف الآخر تحملان معنى الإطلاق وعدم التقييد والتحديد لمعنى التفسير ، وعبارة (بقدر الطاقة البشرية) – على وجه الخصوص – فيها إشارة إلى أهمية طاقة البشر في استنباط أسرار القرآن ومعانيه، وذلك يختلف باختلاف استعدادت البشر وإقبالهم نحو القرآن ، كما يختلف باختلاف الأزمان والعصور ، وما استجد في حياة البشرية

([1]) التفسير والمفسرون ، د.محمد السيد حسين الذهبي ، ط مكتبة وهبة القاهرة دون ت 13/1

([2]) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376 هـ - 1957 م13/1

([3]) الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1394هـ/ 1974 م 194/4

([4]) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ط دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997 م11/1. وانظر: البرهان في علوم القرآن: 148/2.

([5]) التفسير والمفسرون، مرجع سابق 13/1

من علوم وتجارب وتطورات واكتشافات حديثة لم تكن موجودة في الأزمنة والعصور السابقة.

المبحث الثالث: معنى الإشارة في اللغة

الإشارة والإيماء هي الرمز [1]. وهي أيضا : التلويح بشيء يفهم منه ما يفهم من النطق ، وأشار إليه وشوّر: أومأ. ويتعدي الفعل ب (إلى) و (على) فإن عدي ب (إلى) كان المعنى الإيماء باليد ونحوها كما قال تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [2]وإن عدي ب (على) كان المعنى الرأي كقولك: أشار عليه بكذا أي أبدي له رأيه. [3]وفي اللسان : أَشار الرَّجُلُ يُشِيرُ إِشارَةً إِذا أَوْمَأَ بيديْه. وَيُقَالُ: شَوَّرْت إِليه بِيَدِي وأَشرت إِليه أَي لَوَّحْت إِليه وأَلَحْتُ أَيضاً. وأَشارَ إِليه باليَدِ: أَوْمأَ، وأَشارَ عَلَيْهِ بالرَّأْيِ. وأَشار يُشِير إِذا مَا وَجَّه الرَّأْي.[4]

المبحث الرابع: معنى الإشارة في الاصطلاح

يعد مصطلح الإشارة من المصطلحات التي استخدمها الصوفية بوصفه ملاذًا لهم في التعبير عن مشاهدات قلوبهم ومكاشفاتها ، وقد عبّر عنها الإمام الألوسي بقوله: معارف سبحانية تنكشف من سجف العبارات للسالكين وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين[5]. وهي عند الأصوليين بمعنى دلالة اللفظ على المعنى ، من سياق الكلام له ، ويسمى أيضا بفحوى الخطاب ، أو هي ما ثبت بنص النظم من غير زِيَادَة وَهُوَ غير ظَاهر من كل وَجه وَلَا سيق الْكَلَام لأَجله.[6]

المبحث الخامس: تعريف التفسير الإشاري

عرفه العلماء بتعريفات كثيرة أهمها: ما جاء عن الإمام الماتريدي حيث قال: يقصد بالتفسير الإشاري: تأويل القرآن على خلاف ظاهره ؛ لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب ، السلوك والمجاهدة للنفس ، ممن

([1]) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة-بيروت ط5 1416هـ:659 .والمنجد في اللغة لمجموعة من المؤلفين، دار المشرق-بيروت ط37 1998مص279.

([2]) سورة مريم الآية 29

([3]) المنجد في اللغة لمجموعة من المؤلفين، دار المشرق-بيروت ط37 1998م ص:279.

([4]) لسان العرب، مرجع سابق 437/4

([5]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت دون ت 5/1

([6]) أصول الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي ،ط دار الكتاب العربي – بيروت بدون ت 101/1.

نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم ، وانقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني ، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة [1]. وقال ابن عجيبة: هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية ، تظهر لأهل السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة .[2]وعرفه الزرقاني بأنه تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا.[3]

وقد فرق بعض العلماء بين التفسير الصوفي النظري والتفسير الإشاري من وجهين اثنين :

أولاً: أن التفسير الصوفي النظري، ينبني على مقدمات علمية تنقدح فى ذهن الصوفي أولاً ، ثم يُنزل القرآن عليها بعد ذلك.

أما التفسير الإشارى، فلا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سُحُب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

ثانياً: إن التفسير الصوفي النظري ، يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تُحمل الآية عليه، هذا بحسب طاقته طبعاً.

أما التفسير الإشارى فلا يرى الصوفي أنّه كل ما يُراد من الآية، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويُراد منها أولاً وقبل كل شيء، وذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.[4]

المبحث السادس: أمثلة التفسير الإشاري

ولكي يتضح مفهوم التفسير الإشاري نقرّب المعنى بمثالين اثنين للتفسير الإشاري وبالمثال يتضح المقال:

المثال الأول : قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ

(1) تفسير الماتريدي ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي المحقق: د. مجدي باسلوم ط دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، 1426 هـ - 2005 م 1/ 281

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الصوفي ، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان ، ط مكتبة الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ، 1419 هـ 17/1

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه دون ت 2 /78

(4) التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 261/2

أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1]. يقول الشيخ ابن عجيبة فى إشارة الآية: اعلم أن كثيراً من الناس يعتمدون على صحبة الأولياء ، ويُطلقون عنان أنفسهم في المعاصي والشهوات ، ويقولون: سمعنا من سيدي فلان يقول: مَن رآنا لا تمسه النار ، وهذا غلط وغرور . [2] وقد قال عليه الصلاة والسلام لابنته: (يا فاطمةَ بنتَ مُحمَّد لا أُغْنِي عَنْكِ من الله شيئاً اشتر نفسك من الله) [3] وقال للذي قال: ادع الله أن أكون رفيقك في الجنة ، فقال له (أعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بكَثْرةِ السُّجُود)[4].ويقول الإمام القشيري :الإشارة في هذه الآية لمن مرت على قلبه دعاواه العريضة ، وغلب عليه حسبانه ، فحكم لنفسه- لفرط غفلته- بأنه من أهل القصة (أي من أهل الطريق الصوفي) ، ويخلد إلى هواجس مناه، فيحكم على الغيب بأنه يتجاوز عنه نسى قبائح ما أسلفه، ويذكر مغاليط ما ظنّه، فهو عبد نفسه، يغلب عليه حسن ظنه، وفى الحقيقة تعتريه نتائج غفلته ومكره،[5] قال تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [6]

المثال الثاني : قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [7].يقول ابن عجيبة في إشارة الآية: كل من أقامه الحقّ في وجهه، ووجهه إليها، فهو عامل لله فيها، قائم بمراد الله منها، وما اختلفت الأعمال إلا من جهة المقاصد، وما تفاوت الناس إلا من جهة الإخلاص، فالخلق كلهم عبيد للملك المجيد، وما وقع الاختصاص إلا من جهة الإخلاص، فمن كان أكثر إخلاصاً لله كان أولى من غيره بالله، وبقدر ما يقع للعبد من الصفاء يكون له من

(1) سورة البقرة الآية 80
(2) تفسير البحر المديد، مرجع سابق 38/1
(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م حديث رقم 9177
(4) المسند ، مرجع سابق حديث رقم 15526
(5) لطائف الإشارات ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق إبراهيم البسيوني، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر دون ت 101/1
(6) سورة فصلت الآية 23
(7) سورة البقرة الآية 139

الاصطفاء، فالصوفية والعلماء والعباد والزهاد وأهل الأسباب على اختلاف أنواعهم، كلهم عاملون لله، ليس أحد منهم بأولى من غيره بالله، إلا من جهة الإخلاص وإفراد القلب لله. فمن ادعى الاختصاص بالله من غير هذه الوجهة فهو كاذب، ومن اعتمد على عمل غيره فهو مغرور،[1] يقال له: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [2].

(1) تفسير البحر المديد، مرجع سابق 38/1

(2) سورة البقرة الآية 141

الفصل الثاني
أصول التفسير الإشاري

المبحث الأول: منهج التفسير الإشاري

قسم بعض العلماء التفسير إلى ثلاثة أقسام: تفسير بالرواية ويسمى التفسير بالمأثور وتفسير بالدراية ويسمى التفسير بالرأي وتفسير بالإشارة ويسمى التفسير الإشاري.[1]وقد تعددت وتنوعت منازع ومناهج المشتغلين بتفسير كتاب الله تعالى.فمنهم من توفرت هممهم على جمع المأثور في تفسيره من السنة النبوية، وأقوال السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، دون إعمال للرأي، أو مع إعماله بضوابطه. ومنهم من صرف همه في تفسيره إلى الجانب اللغوي، فبرزت مدارس التفسير اللغوي، والنحوي، والبلاغي، والبياني بألوانها الشائعة المعطاءة. ومنهم من آثر الاتجاه الكلامي العقدي، فحفل تفسيره بخوض عباب المباحث العقدية، ونصرة مذهبه على المذاهب الأخرى، في شتى القضايا الكلامية، فكانت موسوعات تفسيرية في هذا الجانب. ومنهم من جنح في تفسيره إلى الجانب الفقهي المذهبي، فكان اللون المعروف بتفاسير الأحكام، وكل منها في مذهب بعينه، وقد استخدمت فيه القواعد الأصولية. ومنهم من غلب عليه الطابع القصصي، فتوسع في الروايات والآثار في معالجة قصص القرآن الكريم، ما بين صحيح ودخيل.وهكذا اتخذ المشتغلون بالتفسير طرائق قددا، ومنازع شتى، ومناهج متنوعة، ما بين تحليلي، وموضوعي، ومقارن، وتاريخي، واستقرائي. وكلها حقق للمكتبة التفسيرية ثراء حافلا في تناول كتاب الله الخاتم، لم ينله ولم يدن منه في تاريخ الوجود توفر على كتاب سواه، وذاك من لوازم حقيّته ومصداقيته وإعجازه.[2]

والذي يعنينا في هذا البحث هو الحديث عن منهج التفسير الإشاري ، ما هي أصوله ومن أين استقى مصادره ؟حيث يرى البعض أن التفسير لا يبلغ بناؤه كماله وتمام مصداقيته في تحقيق وفاء معاني التنزيل بتفسير حقائق الوجود بأسرها إلا بإعمال المنهج الصوفي الإشارى في التفسير، وإحراز نتاج (علم الموهبة) الذي اعتده أساطين علوم القرآن الكريم وتفسيره علما أساسيا ومصدرا رئيسا للمفسر، ضمن العلوم الخمسة عشر التي يحتاج إليها المفسر، حيث ذكره الإمام السيوطي- رضى الله تعالى عنه- في ختامها- بالإتقان- قائلا: (الخامس عشر:علم الموهبة: وهو علم يورثه

([1]) مناهل العرفان ، مرجع سابق 11/2

([2]) تفسير البحر المديد ، مرجع سابق 16/1

الله تعالى لمن عمل بما علم)[1]

المبحث الثاني: أصول التفسير الإشاري من القرآن الكريم

لم يكن التفسير الإشارى بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله ﷺ. أشار إليه القرآن، ونبَّه عليه الرسول عليه الصلاة والسلام، وعرفه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقالوا به.

أما إشارة القرآن إليه، ففي قوله تعالى من سورة النساء: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [2] ، وقوله تعالى في السورة نفسها: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً)﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [3]، وقوله تعالى في سورة محمد: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [4]

فهذه الآيات كلها تشير إلى أنّ القرآن له ظهر وبطن. وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى حيث ينعى على الكفار أنهم لا يكادون يفقهون حديثاً، ويحضهم على التدبر فى آيات القرآن الكريم لا يريد بذلك أنهم لا يفهمون نفس الكلام، أو حضهم على فهم ظاهره ، لأنّ القوم عرب ، والقرآن لم يخرج عن لغتهم فهم يفهمون ظاهره ولا شكّ. وإنما أراد بذلك أنهم لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، وحضَّهم على أن يتدبروا في آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده، وذلك هو الباطن الذي جهلوه ولم يصلوا إليه بعقولهم.[5] قال الإمام الألوسي في بيان معنى الآية : (أفلا يتدبرون:وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه، والفاء للعطف على مقدر أي- أيشكون في أن ما ذكر شهادة الله تعالى فلا يتدبرون القرآن الذي جاء به هذا النبي ﷺ المشهود له ليعلموا كونه من عند الله فيكون حجة وأي حجة على المقصود- وقيل: المعنى أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة

---

(1) الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق 215/4
(2) سورة النساء الآية 78
(3) سورة النساء الآية 82
(4) سورة محمد الآية 24
(5) التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 261/2

ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه وَلَوْ كانَ أي القرآن ، مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ كما يزعمون لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً بأن يكون بعض إخباراته الغيبية كالإخبار عما يسره المنافقون غير مطابق للواقع لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى فحيث أطرد الصدق فيه ولم يقع ذلك قط علم أنه بإعلامه تعالى ومن عنده)[1].

قال الإمام القشيري : تدبر إشارة المعاني بغوص الأفكار، واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاستنباط، أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها : أي إن تدّبروا القرآن أفضى بهم إلى العرفان، وأراحهم من ظلمة التحيّر.[2]

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾[3]: هو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها.[4]

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: لا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين -بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه ، وإتباعهم ما يحبه - ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال عليٌّ : إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه ، وفى الأثر : من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم ، وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع.[5]

المبحث الثالث : أصول التفسير الإشاري من السنة النبوية

أما في السنة النبوية فلم يقف الباحث – بعد اطلاعه على كتب السنة- على حديث صريح في تأصيل التفسير الإشاري ، ولكن جاء في تفسير البحر المديد وفي بعض كتب شروح الحديث، [6] ما يشير إلى وجود بعض الأحاديث التي يستدل بها على أصل التفسير الإشاري في السنة النبوية ومن ذلك قوله ﷺ (إن للقرآن ظهرا

([1]) تفسير روح المعاني ، مرجع سابق 92/5

([2]) لطائف الإشارات ، مرجع سابق 413/3

([3]) سورة الرعد الآية 17

([4]) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، المحقق: محمد حسين شمس الدين ، ط دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت- 1419 هـ 668/2

([5]) مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، 1416هـ/1995م 245/13

([6]) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ط دار الفكر، بيروت - لبنان، 1422هـ - 2002م 316/1

وبطنا وحدا ومطلعا)[1] وقد نقل الإمام الذهبي في كتابه نحوا مما جاء في البحر المديد حيث قال : وأما تنبيه الرسول ﷺ، فذلك في الحديث الذي أخرجه الفريابى من رواية الحسن مرسلا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع) [2]، وفى الحديث الذي أخرجه الديلمى من رواية عبد الرحمن بن عوف مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (القرآن تحت العرش، له ظهر وبطن يحاج العباد).[3]

ففي هذه الأحاديث تصريح بأنّ القرآن له ظهر وبطن. ولكن ما هو الظهر وما هو البطن؟ اختلف العلماء في بيان ذلك:فقيل: ظاهرها - أي الآية - لفظها. وباطنها: تأويلها.وقال أبو عبيدة: إن القَصص التي قصَّها الله تعالى عن الأُمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأوَّلين، وحديث حَدَّث به عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم، فيحل بهم مثل ما حلَّ بهم. ولكن هذا خاص بالقَصص، والحديث يعم كل آية من آيات القرآن.وحكى ابن النقيب قولاً ثالثا: وهو أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أهل الحقائق.

هذا هو أشهر ما قيل في معنى الظهر والبطن. وأما قوله في الحديث الأول: "ولكل حرف حد"، فمعناه على ما قيل: لكل حرف حد، أي منتهى فيما أراد الله من معناه، أو لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب. والأول أظهر، وقوله: "ولكل حد مطلع"، معناه على ما قيل أيضاً: لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يُتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به. وقيل: كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة، والأول أظهر أيضاً.[4]

المبحث الرابع: أصول التفسير الإشاري في أقوال الصحابة ومروياتهم

أما الصحابة فقد نقل عنهم من الأخبار ما يدل على أنّهم عرفوا التفسير الإشارى وقالوا به، أما الروايات الدالة على أنهم يعرفون ذلك فمنها:

([1]) لم يقف الباحث على تخريجه في كتب السنة المشهورة ولكن جاء في البحر المديد أنه من تخريج ابن حبان، في صحيحه، عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه عنه الحافظ العراقي في (المغني عن حمل الأسفار. بتحقيق ما في الإحياء من الأخبار) بحاشية الإحياء (1/ 88) وانظر تفسير البحر المديد ، مرجع سابق 17/1

([2]) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق 316/1

([3]) لم أقف على تخريجه في كتب السنة المشهورة وقد جاء في البحر المديد أنه من تخريج الديلمي عن سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي ﷺ وانظر البحر المديد ، مرجع سابق 17/1

([4]) التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 262/2

ما أخرجه ابن أبى الحاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال: إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أخبر فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء.[1]وروى عن أبى الدرداء أنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها.[2]وعن ابن مسعود أنه قال: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن.[3]

وأما الروايات الدالة على أنهم فسروا القرآن تفسيرا إشاريا، فما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم.

قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [4] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ وذلك علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [5]. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول[6].

فبعض الصحابة لهم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر، أما ابن عباس وعمر، فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر، وهو المعنى الباطن الذي تدل عليه السورة بطريق الإشارة.

وأيضا ما ورد من أنه لما نزل قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ

([1]) الإتقان في علوم القرآن ، مرجع سابق 226/4
([2]) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، مرجع سابق 315/1
([3]) المرجع السابق 315/1
([4]) سورة النصر الآية 1
([5]) سورة النصر الآية 3
([6]) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، 1422هـ حديث رقم 4294 ج5 ص145

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1]، فرح الصحابة وبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال: ما بعد الكمال إلا النقص، مستشعرا نعيه عليه الصلاة والسلام، فقد أخرج ابن أبى شيبة: "أن عمر رضي الله تعالى عنه لما نزلت الآية بكى، فقال النبي ﷺ: "ما يبكيك"؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنّه لم يكمل شيء قط إلا نقص، فقال عليه الصلاة والسلام : "صدقت".[2]

فعمر رضي الله عنه أدرك المعنى الإشارى: وهو نعى رسول الله ﷺ، وأقره النبي على فهمه هذا، وأما باقي الصحابة فقد فرحوا بنزول الآية لأنهم لم يفهموا أكثر من المعنى الظاهر لها.

هذه الأدلة مجتمعة تشير إلى أن القرآن الكريم له ظهر وبطن. ظهرٌ يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، وبطنٌ يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر. غير أن المعاني الباطنية للقرآن لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة، بل هي أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور. ولقد فهم ابن مسعود أنّ في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا فقال: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[3] ، وقال: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[4].

المبحث الخامس : أقسام التفسير الإشاري

قسم بعض العلماء التفسير الإشاري إلى ثلاثة أقسام هي : التفسير الإشاري اللفظي والتفسير الإشاري المعنوي والتفسير الإشاري الرمزي . وسنتناول كل قسم بالشرح والبيان .

أولاً : التفسير الإشاري اللفظي

ويقصد بالتفسير الإشاري اللفظي: التفسير المرتبط بإشارة لفظة خاصة يستدل بها على معنى آخر يستبطن معناها في سياقها العام، ومن هذا النوع من التفسير ما استدل به العز بن عبد السلام على صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ

([1]) سورة المائدة الآية 3

([2]) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر،ط مؤسسة الرسالة1420 هـ - 2000 م 519/9

([3]) سورة الأنعام الآية 38

([4]) سورة يوسف الآية 111

حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [1] ومنه أيضا ما استدل به المفسرون من قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ ﴾ [2] بأنه عبر عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المؤن عليه؛ لأن الوالدات إنما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم.[3]

ثانيا : التفسير الإشاري المعنوي

ويقصد بالتفسير الإشاري المعنوي: التفسير المرتبط بإشارة المعنى العام للآية أو السورة، وهي الدلالة على معنى آخر يستبطن المعنى الإجمالي فهما يؤتيه الله من يشاء من عباده لا يخالف نصا، ولا يجافي لفظا، ولا يجاوز معنى حقا. ومن هذا النوع ما سبق ذكره من استدعاء عمر لابن عباس -رضي الله عنهم- في مجلسه مع شيوخ بدر -رضي الله عنه- وسؤال عمر لهم: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ ؟ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذلك تقول يابن عباس؟ فقلت: لا قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه له قال:(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) وذلك علامة أجلك،(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول .[4]

وقد سبقت الإشارة إلى هذا اللون من التفسير الإشاري – في بحثنا هذا- في سياق استعراض أدلة التفسير الإشاري وبيان أصوله من أقوال الصحابة . وهذا النوع من التفسير الإشاري بقسميه (اللفظي والمعنوي) هو التفسير الإشاري السليم، فهو لا يعكر معنى ولا يخالف نصا، ولا يجافي لفظا بل يستمد مقوماته من النص الماثل أمامه من غير تحريف ولا تأويل خارج عن حدود الدين واللغة، وهو الذي تدل عليه النصوص والأدلة التي استدلوا بها لصحة التفسير الإشارى إذ هذا هو ما تدل عليه.[5]

ثالثا : التفسيري الإشاري الرمزي

أما هذا النوع من التفسير الإشاري فهو الذي يجب أن نفرق بينه وبين النوعين

([1]) سورة المسد الآية 4

([2]) سورة البقرة الآية 233

([3]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ، 1407هـ- 1986م 409/1

([4]) صحيح البخاري مرجع سابق 145/5

([5]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مرجع سابق 409/1

السابقين من أنواع التفسير الإشاري ،فهو تفسير صوفي يعتمد في سبيل الوصول إلى المعرفة على منهج قوامه الوجد والذوق والترقي في مقاماتهم، حتى يصل المتصوف مقام العرفان فتفيض عليه - بزعمهم- مكنونات العلم وأسرار المعرفة، بل يصل إلى أبعد من هذا فتفوض جملة الأمور إليه بحيث لا يسقط ورق من شجر إلا بإذن وكتاب وأجل منه، وليس وراء هذه مقام ومرتبة. وهذا التفسير هو الذي تكثر فيه الألفاظ الغامضة والطلاسم والاصطلاحات،كما تكثر فيه عبارات العشق والشوق، حيث جعل الحج عند العارفين حج الروح إلى القلب الذي هو بيت الله العامر وليس إلى بيت الخليل! وزعم حلاوة المعاني راحا طهورا من شربها هام في الحبيب، وجعل الذكر ترديد لفظ:(الله الله) حتى يشرق عليك نور الاسم، وجعل شهادة الأولياء بقتلهم بسيوف المحبة وسهام مخالفة النفس ونحو ذلك. [1]فهذا النوع من التفسير الإشاري هو الذي أنكره العلماء لمخالفته الصريحة لظاهر النصوص القرآنية على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

الفصل الثالث
آراء العلماء في التفسير الإشاري وشروط قبوله

المبحث الأول : رأي العلماء في التفسير الإشاري

اختلف العلماء في قبول التفسير الإشاري أو رده، فمنهم من قبله، ومنهم من اعتبره من صفات الكمال والعرفان، ومنهم من رده، ومنهم من اعتبره إلحادا في آيات الله وخروجا به عن الحق. ونستعرض فيما يلي بعض آرائهم وأقوالهم، بدءاً بالمتقدمين منهم ثم المتأخرين .

أولاً : الإمام الغزالي

قال في إحياء علوم الدين : ما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة أعلى منه؛ فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل؛ فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير. وظاهر التفسير لا يغنى عنه؛ فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا . وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر عليه وليس اللفظ هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو

(1) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مرجع سابق 409/1

استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم .[1]

وقد انتقد الإمام الغزالي بعض شطحات الصوفية المنافية لمفهوم التفسير الإشاري حيث قال : وأما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية ،أحدهما: الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون: قيل لنا كذا، وقلنا كذا . وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم، وأظهروا مثل هذه الدعاوى، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال. والصنف الثاني من الشطح: كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر.[2]

ثانياً : الإمام ابن الصلاح:

أورد الإمام ابن الصلاح في فتاويه : (مسألة) : سأل سائل في كلام الصوفية في القرآن كالجنيد وغيره وكان السائل عن هذا ينكر ما سمع من ذلك وكان يجالس شيخا من المفتين فجرى ذلك في مجلسه فابتدأ الشيخ وقال كالمستحسن لكلام الصوفية : هم لا يريدون به تفسير القرآن وإنما هي معاني يجدونها عند التلاوة ؛ وقال أيضا يقولون :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ [3] قالوا : هي النفس وكان الشيخ المفتي يشرح ذلك ويقول : أمرنا بقتال من يلينا لأنهم أقرب شرا إلينا وأقرب شرا إلى الإنسان نفسه . وقال الشيخ أيضا : يقولون﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ [4] يقول نوح العقل والغرض أنّهم يلقي الله عندهم في كلامه ما ينتفعون به وهذا قد صدر عن أكابرهم والجم الغفير وأنتم بذلك أعلم والسائل لهذا ليس بجاهل وليس غرضه إلا الاعتضاد بما يسمع من الشيخ تقي الدين رضي الله عنه واحد لا يجهل أن

(1) إحياء علوم الدين، مرجع سابق 293/1
(2) المرجع نفسه 271/1
(3) سورة التوبة الآية 123
(4) سورة نوح الآية 1

قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ ليس المراد به النفس وإن المراد ظاهر ومن قال غير ذاك فهو مخطئ.

فأجاب رضي الله عنه :وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر رحمه الله أنه قال : صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيرا فقد كفر ؛ وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئا من أمثال ذلك أنه لم يذكر تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن فان النظير يذكر بالنظير فمن ذكر قتال النفس في الآية المذكورة فكأنه قال أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والالتباس والله أعلم .[1]

ثالثاً : الإمام ابن تيمية

قال ابن تيمية: ومتى كان المعنى صحيحا والدلالة ليست مرادة فقد يسمى ذلك إشارة وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير من هذا قطعة . وقال أيضا : فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى إشارة حالية - وهى إشارتهم بالقلوب - وذلك هو الذي امتازوا به وليس هذا موضعه- وتنقسم إلى الإشارات المتعقلة بالأقوال : مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه، فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك؛ فان كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة وان كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه وان كان تحريفا للكلام عن مواضعه وتأويلا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية فتدبر هذا فإني قد أوضحت هذا في قاعدة الإشارات .[2] وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دل اللفظ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوما من جهة القياس والاعتبار فحالهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار وهذا حق إذا كان قياسا صحيحا لا فاسدا واعتبارا مستقيما لا منحرفا .[3]

رابعاً : الإمام ابن القيم

([1]) فتاوى ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح ،المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر ط كتبة العلوم والحكم , عالم الكتب – بيروت، 1407هـ 197/1

([2]) مجموع الفتاوى ، مرجع سابق 384/6

([3]) مجموع الفتاوى ، مرجع سابق 28/2

قال ابن القيم: الإشارات : هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بُعد ، ومن وراء حجاب ، وهي تارة تكون من مسموع ، وتارة تكون من مرئي ، وتارة تكون من معقول ، وقد تكون من الحواس كلها . فالإشارات: من جنس الأدلة والأعلام، وسببها : صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها. [1] وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول : الصحيح منها : ما يدل عليه اللفظ بإشارته من باب قياس الأولى.قلت: مثاله قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [2] قال ابن تيمية: والصحيح في الآية أن المراد به الصحف التي بأيدي الملائكة ، لكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون لكرامتها على الله فهذه الصحف أولى أن لا يمسها إلا طاهر؛ ومن هذا : أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها وهي بيت الرب، فتوجه المصلى إليها ببدنه وقلبه شرط، فكيف تصح صلاة من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن ؟ بل وجه بدنه إلى البيت ووجه قلبه إلى غير رب البيت. وأمثال ذلك من الإشارات الصحيحة التي لا تنال إلا بصفاء الباطن وصحة البصيرة وحسن التأمل . قال صاحب المنازل : في بيان معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [3] يعني : إذا نسيت غيره ونسيت نفسك في ذكرك ثم نسيت ذكرك في ذكره ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر .[4]

قال ابن قيم : لَيْتَهُ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - لَمْ يَقُلْ.فَلَا وَاللَّهِ مَا عَنَى اللَّهُ هَذَا الْمَعْنَى، وَلَا هُوَ مُرَادُ الْآيَةِ وَلَا تَفْسِيرُهَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ وَلَا مِنَ الْخَلَفِ.وَتَفْسِيرُ الْآيَةِ عِنْدَ جَمَاعَةِ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّكَ لَا تَقُلْ لِشَيْءٍ: أَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى تَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَإِذَا نَسِيتَ أَنْ تَقُولَهَا فَقُلْهَا مَتَى ذَكَرْتَهَا. وَهَذَا هُوَ الِاسْتِثْنَاءُ الْمُتَرَاخِي الَّذِي جَوَّزَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَتَأَوَّلَ عَلَيْهِ الْآيَةَ. وَهُوَ الصَّوَابُ.[5]

خامسا :الإمام الشاطبي

قال في الموافقات وقد ذكر نماذج من التفسير الإشاري عن سهل التستري : ولكن له وجه جار على الصحة وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية ولكن أتى بما

([1]) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط دار الكتاب العربي - بيروت، 1416 هـ - 1996م 389/2

([2]) سورة الواقعة الآية 79

([3]) سورة الكهف الآية 24

([4]) مدارج السالكين مرجع سابق 403/2

([5]) مدرج السالكين، مرجع سابق 403/2

هو ند في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين : إحداهما : أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار فيجريه فيما لم تنزل فيه لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه.[1] ثم قال: وإنما احتيج إلى هذا كله لجلالة من نقل عنهم ذلك" أي التفسير الإشاري" من الفضلاء وربما ألمّ الغزالي بشيء منه في الإحياء وغيره وهو مزلة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم فإن الناس في أمثال هذه الأشياء بين قائِلَينِ: منهم من يصدق به ويأخذه على ظاهره ويعتقد أن ذلك هو مراد الله تعالى من كتابه وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافة فربما كذب به أو أشكل عليه. ومنهم من يكذب به على الإطلاق ويرى أنه تقوّل وبهتان مثل ما تقدم من تفسير الباطنية ومن حذا حذوهم وكلا الطريقين فيه ميل عن الإنصاف .[2]

ثم قال : إنّ تلك الأنظار الباطنة في الآيات المذكورة إذا لم يظهر جريانها على مقتضى شروط قبول التفسير فهي راجعة إلى الاعتبار غير القرآني وهو الوجودي ويصح تنزيله على معاني القرآن لأنه وجودي أيضا فهو مشترك من تلك الجهة غير خاص فلا يطالب فيه المعتبر بشاهد موافق إلا ما يطالبه المربي وهو أمر خاص وعلم منفرد بنفسه لا يختص بهذا الموضع فلذلك يوقف على محله، فكون القلب جارا ذا قربى والجار الجنب هو النفس الطبيعي، إلى سائر ما ذكر (التستري) يصح تنزيله اعتباريا مطلقا فإن مقابلة الوجود بعضه ببعض في هذا النمط صحيح وسهل جدا عند أربابه غير أنه مغرر بمن ليس براسخ أو داخل تحت إيالة راسخ. وأيضا فإن من ذكر عنه مثل ذلك من المعتبرين لم يصرح بأنه المعنى المقصود المخاطب به الخلق بل أجراه مجراه وسكت عن كونه هو المراد وإن جاء شيء من ذلك وصرح صاحبه أنه هو المراد فهو من أرباب الأحوال الذين لا يفرقون بين الاعتبار القرآني والوجودي وأكثر ما يطرأ هذا لمن هو بعد في السلوك سائر على الطريق لم يتحقق بمطلوبه، ولا اعتبار بقول من لم يثبت اعتبار قوله من الباطنية وغيرهم وللغزالي في مشكاة الأنوار وفي كتاب الشكر من الإحياء وفي كتاب جواهر القرآن في الاعتبار القرآني وغيره ما يتبين به لهذا الموضع أمثلة فتأملها هناك والله الموفق.[3]

سادساً :الشيخ بن عاشور:

قال ابن عاشور : أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات

([1]) الموافقات في أصول الفقه،إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ،ط دار المعرفة – بيروت ،تحقيق: عبد الله دراز 399/3

([2]) المرجع نفسه 142/1

([3]) الموافقات ، مرجع سابق 405/3

القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسيراً للقرآن بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني فبذلك فارق قولهم قول الباطنية.

ثم قال: وعندي إن هذه الإشارات لا تعدو واحدا من ثلاثة أنحاء : الأول ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلا في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [1] أنه إشارة للقلوب لأنّها مواضع الخضوع لله تعالى إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية ، وسعى في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى ، فهذا يشبه ضرب المثل لحال من لا يزكي نفسه بالمعرفة ويمنع قلبه أن تدخله صفات الكمال الناشئة عنها بحال مانع المساجد أن يذكر فيها اسم الله ، وذكر الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المثل. الثاني : ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده ، والذي يجول في خاطره، وهذا كمن قال في قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ ﴾ [2]: من ذل ذي إشارة للنفس يصير من المقربين للشفعاء ، فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع ويتأوله على ما شغل به قلبه . ورأيت الشيخ محي الدين يسمي هذا النوع سماعا ولقد أبدع . الثالث : عبر ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم إذا قرأوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالى: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [3] اقتبسوا فإنّ القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالا . ومن حكاياتهم في غير باب التفسير أن بعضهم مرّ برجل يقول لآخر: هذا العود لا ثمرة فيه فلم يعد صالحا إلا للنار ، فجعل يبكي ويقول: إذن فالقلب غير المثمر لا يصلح إلا للنار.

فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية لأنها إنّما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة ولا ينتفع بها غير أولئك ، فلما كانت آيات القرآن

([1]) سورة البقرة الآية 114
([2]) سورة البقرة الآية 255
([3]) سورة المزمل الآية 16

قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للآية . فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين . وكل إشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويدا رويدا إلى أن تبلغ عين مقالاتهم وقد بصرناكم بالحد الفارق بينهما ، فإذا رأيتم اختلاطه فحققوا مناطه ، وفي أيديكم فيصل الحق فدونكم اختراطه .[1]

سابعاً :الشيخ الزرقاني :

قال الزرقاني: وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور (الإشاري) فمنهم من أجازه ومنهم من منعه . ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولا ، إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب.وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة. [2]ونقل السيوطي في الإتقان عن ابن عطاء الله في لطائف المنن ما نصه : اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم يقولون ذلك بل يقررون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم [3].

ثامنا : الإمام الذهبي

يقول الإمام الذهبي بعد استعراضه لأقوال بعض الصوفية في بيان المعاني الإشارية مثل الإمام ابن عربي والإمام الألوسي : ومثل هذه الأقوال أشبه ما تكون بالإكراه لنا على قبول وجدانيات القوم وشطحاتهم مهما أوغلت في البعد والغرابة، وتوريط لنا بتسليم كل ما يقولون تحت تأثير ما لهم في نفوسنا من المكانة العلمية والدينية، ومهما يكن من شيء فأنا عند رأيي لا أتحول عنه، حتى إذا ما جعت جوع القوم، وسهرت سهرهم، ووجدت مواجيدهم، سلمت لهم بكل ما يقولون "ومن ذاق

(1) التحرير والتنوير ، مرجع سابق 36/1
(2) مناهل العرفان ، مرجع سابق 79/2
(3) الإتقان في علوم القرآن ، مرجع سابق 227/4

عرف".

والخلاصة.. أن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن، مذلة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم، وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم، ولم يذيعوها على الناس فيوقعوهم في حيرة واختلاف، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافه فربما كذب به أو أشكل عليه، ومنهم من يكذبها على الإطلاق، ويرى أنّها تقول على الله وبهتان، ليتهم فعلوا ذلك، إذن لأراحونا من هذه الحيرة، وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم، وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله. [1]

المبحث الثاني : شروط قبول التفسير الإشاري

بعد استعراض أقوال العلماء - المتقدمين منهم والمتأخرين – وآرائهم في التفسير الإشاري يحسن بنا في هذا المبحث أن نلخص أهم شروط قبول التفسير الإشاري حتى نضبط ميزان الحق ليكون عدلاً ووسطا بين مغالاة المنكرين للتفسير الإشاري وبين من يريدونه شطحا وشططا بعيدا عن الفهم مجافيا لقوانين العربية مخالفا لمقاصد القرآن .

وقد أحسن الإمام الذهبي حيث لخص هذه الشروط بعد حديثه عن التفسير الإشاري قائلا : تبين لنا فيما سبق أن التفسير الإشارى منه ما هو مقبول، ومنه ما ليس بمقبول، فعلينا بعد ذلك أن نذكر الشروط التي يجب أن تتوفر في التفسير الإشارى - وإن كنا تعرضنا لأهمها فيما سبق - حتى يكون تفسيرا مقبولا.. وإليك هذه الشروط:

أولا: أن لا يكون التفسير الإشارى منافيا للظاهر من النظم القرآني الكريم.

ثانيا: أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

ثالثا: أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

رابعا: أن لا يدعى أن التفسير الإشارى هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد أن نعترف بالمعنى الظاهر أولا، إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر،ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب.[2]

ثم قال: إذا علمت هذا ، علمت بصورة قاطعة أنّه لا يمكن لعاقل أن يقبل ما

([1]) التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 279/2

([2]) التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 280/2

نقل عن بعض المتصوفة من أنه فسر قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[1] فقال: معناه من (ذل) من الذل (ذي) إشارة إلى النفس (يشف) من الشفاء (ع) أمر من الوعي. وما نقل عن بعضهم من أنه فسر قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [2]. فجعل (لَمَعَ) فعلا ماضيا بمعنى أضاء، و (ٱلْمُحْسِنِينَ)مفعوله.[3]

هذا التفسير وأمثاله إلحاد في آيات الله، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾[4]. قال الألوسى في تفسير هذه الآية: "أي ينحرفون في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة فيحملونها على المحامل الباطلة، وهو مراد ابن عباس بقوله: يضعون الكلام في غير موضعه".[5]

هذه هي الشروط التي إذا توفرت في التفسير الإشارى كان مقبولا، ومعنى كونه مقبولا عدم رفضه لا وجوب الأخذ به، أما عدم رفضه فلأنه غير مناف للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسف، وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية.وأما عدم وجوب الأخذ به، فلأنه من قبيل الوجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان، وإنما هي أمر يجده الصوفي من نفسه، وسر بينه وبين ربه. فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه، دون أن يلزم به أحدا من الناس سواه.[6]

وقد ذكر الشيخ الزرقاني نفس هذه الشروط مع اختلاف في ترتيبها وزاد عليها شرطا خامسا وهو ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ بجعل كلمة (لَمَعَ) ماضيا وكلمة (الْمُحْسِنِينَ) مفعوله .ثم قال : كذلك اشترطوا ، بيد أن هذه الشروط متداخلة فيمكن الاستغناء بالأول عن الثالث وبالخامس عن الرابع ويحسن ملاحظة شرطين بدلهما أحدهما بيان المعنى الموضوع له اللفظ

([1]) سورة البقرة الآية 255
([2]) سورة العنكبوت الآية 69
([3]) التفسير والمفسرون، مرجع سابق 280/2
([4]) سورة فصلت الآية 40
([5]) انظر تفسير روح المعاني ، مرجع سابق 378/12
([6]) التفسير والمفسرون، مرجع سابق 280/2

الكريم أولا ثانيهما ألا يكون من وراء هذا التفسير الإشاري تشويش على المفسر له .
ثم إن هذه شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب وليست شروطا لوجوب إتباعه والأخذ به ذلك لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن ثم إن له شاهدا يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض وإنما لم يجب الأخذ به لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ولا مقيدة بقوانين .[1]

(1) مناهل العرفان ، مرجع سابق 81/2

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تنال الخيرات والبركات ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

في ختام هذا البحث المتواضع نحاول أن نشير إلى أهم نتائجه:

أولاً: يعد التفسير الإشاري لوناً من ألوان التفسير القرآني وطريقاً من طرق بيانه، وخلاصة القول في معناه ومفهومه أنّه تأويل القرآن على خلاف ظاهره ؛ لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين باللَّه من أرباب السلوك ، والمجاهدة للنفس ، ممن نوّر اللَّه بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم ، وانقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني ، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة.

ثانيا : يختلف التفسير الإشاري السليم عن التفسير الصوفي الباطني الفاسد ، فالباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم ، بدعوى أنّ هذا هو مراد الله دون ما سواه. وأما أصحاب الإشارات ؛ فإنهم جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقرّوها على نصابها ، لكنهم زعموا أن وراءها معانٍ غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ ، فعبروا إليها بالفكر ، واعتبروا منها في سبيل الذكر.

ثالثا : للتفسير الإشاري السليم شروط وضوابط تتلخص في الآتي :

- ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.
- ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.
- ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا مجافيا لقوانين اللغة العربية التي نزل بها القرآن
- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.
- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.
- ألا يكون من وراء هذا التفسير الإشاري تشويش على المفسَّر له.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل .وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعلمين وعلى آله وصحبه أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.